العرب
الخميس 2019/11/14
السنة 42 العدد 11528

المجلات الثقافية في تونس تستغيث ولا من مجيب

بعد نصف قرن من العطاء نادي القصة التونسي مهدد بالاضمحلال

موت الثقافة المدوّنة مبرمج سلفا (لوحة للفنان علي رضا درويش)

من المفارقات العجيبة في تونس أنها تستعد للاحتفال بمئوية شيخ الأدباء محمد العروسي المطوي، وفي الوقت نفسه تقطع المدد عن أهم ما أنجزه في حياته، أي نادي القصة ومجلة قصص التي يشرف على إصدارها. وما ذلك إلا صورة عن الوضع البائس الذي تشهده الساحة الثقافية في هذه الربوع منذ سنوات.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

في تونس، يستعد أهل الأدب والثقافة لإحياء مئوية شيخ الأدباء التونسيين محمد العروسي المطوي (1920 – 2005) الذي كان له حضور مميز في الساحة الثقافية منذ استقلال تونس منتصف القرن الماضي.

ولا ندري ماذا أعدّ الساهرون على الشؤون الثقافية لهذه المناسبة، ولكن ما نعلمه علم اليقين أن أهم إنجاز اقترن باسم المرحوم المطوي، أي نادي القصة ومجلة قصص التي تصدر عنه، بات مهددا بالاضمحلال. فالنادي قد يتوقف عن النشاط، والمجلة قد تتوقف عن الصدور، والسبب غياب الدعم المالي.

غياب دعم

قد يخيل إلى القارئ أن هذا الدعم له من الحجم ما يفوق طاقة وزارة الثقافة، ولكنه في الواقع لا يتعدى الأربعين ألف دينار تونسي (ما يعادل أربعة عشر ألف دولار) وهو مبلغ سنوي يصرف في تسيير أنشطة النادي وطبع أربعة أعداد من المجلة لا يتقاضى من يساهم في تحريرها مقابلا ماديا، وكذلك في توزيعها وإرسالها عبر البريد إلى المشتركين، إلى جانب نشر المجاميع القصصية الفائزة في مسابقة سنوية ترصد لها جائزة رمزية بقيمة ألف دينار.

أما الجانب الإداري والتنشيطي، فينهض به متطوعون بدءا من رئيس النادي، الذي يتولى في الوقت نفسه رئاسة تحرير المجلة.

فهل عجزت الوزارة عن توفير هذا المبلغ الضئيل وهي التي دأبت على دعم رجال السينما والمسرح والغناء ممن لم يعودوا في حاجة إلى دعم بملايين الدنانير؟ وكيف تعجز وهي التي اعتادت الإنفاق بغير حساب على مهرجانات تنظم على مدار العام، وصرف مبالغ طائلة بالعملة الصعبة لفنانين وافدين؟

إن المسألة في نظرنا ليست عجزا ماليا بقدر ما هي استهانة بالأدب والأدباء، فقيمة دعم النادي لا تبلغ عُشرَ ما يتقاضاه أبسط مغني "راب" يعتلي مسرح قرطاج، ولا تمثل قيمة كبيرة مقارنة بما يسند إلى هذا أو ذاك من قبل وزير الثقافة بغير وجه حق.

> قصص هي أقدم مجلة متخصصة في الأدب السردي وهي صورة عن أنشطة نادي القصة الذي كان يرتاده كبار الكتاب أمثال البشير خريف ومصطفى الفارسي

وإنما هي تمثُّلٌ لسياسة ثقافية عامة اعتادت أن تحتفي بالفرجوي وتهمل المكتوب، فالمهرجانات على اختلاف ألوانها تكاد لا تنقطع على مدار العام، بينما المجلات تعد على أصابع اليد الواحدة.

فمنذ الاستقلال، أسس الوزير محمد مزالي مجلة الفكر الشهرية عام 1956، وارتبطت به فزالت بخروجه من السلطة. ثم تلاه الدبلوماسي محمد العروسي المطوي الذي بعث عام 1966 مجلة قصص الفصلية، وها هي تعاني الأمرين وقد تلفظ أنفاسها نهائيا. عقبهما وزير آخر هو محمود المسعدي وكان أسس عام 1975 مجلة شهرية هي الحياة الثقافية تصدر عن وزارة الثقافة، وقد شهدت هي أيضا تقلبات توقفت خلالها عن الصدور مرارا، وما زالت حتى يومنا هذا متذبذبة في انتظامها. إلى جانب مجلات أخرى على ملك الدولة كالهداية والمعرفة، أو على ملك الخواص، لم يكتب لها الاستمرار.

ولئن كانت تلك المجلات مجرد فضاء لنشر الأدب مقالة ودراسة وإبداعا ونقدا ومتابعة، فإن "قصص" هي أقدم مجلة متخصصة في الأدب السردي على مستوى الوطن العربي، داومت الصدور منذ تأسيسها بلا انقطاع، وحازت مكانتها في مراجع مؤسسات التوثيق. وهي أيضا صورة عن أنشطة نادي القصة الذي تأسس في 10 أكتوبر 1964 كفرع من فروع النادي الثقافي أبوالقاسم الشابي، كان يرتاده كبار الكتاب من تونس أمثال البشير خريف، ومصطفى الفارسي، ومحمد صالح الجابري، وحسن نصر، وسمير العيادي، ورضوان الكوني، ونافلة ذهب، وعروسية النالوتي، ومحمد الهادي بن صالح، ومحمود التونسي، وجلول عزونة، وتزوره وفود الكتاب من بلاد العرب والغرب.

نادي القصة

من ميزات النادي أنه لا يزال منذ تأسيسه يداوم جلساته الأسبوعية، ويحتضن الأقلام الشابة والتجارب الجديدة على اختلاف مشاربها، وينشر نصوصها الأولى في كتب قارب عددها المئة، وينظم كل عام ملتقى لتدارس موضوع يخص الفن السردي، ويكرم خلاله أحد الأعلام. ولكنه تخلف هذه المرة عن عقد ملتقاه السنوي وتكريم أحد الكتاب، للأسباب الآنفة الذكر.

بل إن رئيسه، الأديب أحمد ممو، كتب يقول في مقالة نشرت بمنارات ملحق جريدة الشعب "في سنة مئوية محمد العروسي المطوي، نادي القصة قد يتوقف عن النشاط".

> المهرجانات على اختلاف ألوانها تكاد لا تنقطع على مدار العام، بينما المجلات تعدّ على أصابع اليد الواحدة

فهل يعقل أن يتوقف النادي عن النشاط في مئوية مؤسسه؟ أهكذا نعترف بفضل رجل أفنى عمره لترسيخ فن القصة في تونس، وساهم بقسط كبير في بروز عدة أسماء فرضت حضورها في الساحة المحلية والعربية؟ كيف نسمح بإنهاء مهمة ناد ثقافي هو جزء من ذاكرة المدينة، ومن ذاكرة الوسط الثقافي برمّته؟

لقد جرت العادة، عند الاحتفال بمئوية أحد الأعلام، أن تتجند الطاقات لاستحضار مآثر الراحل وإبراز المحطات الكبرى في مسيرته، من خلال ندوات ومعارض وأشرطة وثائقية ولقاءات تلفزيونية مع من عرفوه أو عاشروه أو تخصصوا في دراسة آثاره، فضلا عن إعادة طبع أعماله الكاملة حتى يجد فيها الدارسون مادة تعينهم على إبراز خصائصه وسماته.

ولئن ترك محمد العروسي المطوي مؤلفات ريادية في أدب الرواية أمثال "ومن الضحايا"، و"التوت المرّ"، و"حليمة" التي يتدارسها طلاب العلم جيلا بعد جيل، فإن أهم ما تركه هو نادي القصة ومجلته العريقة. ولا يمكن في اعتقادنا أن نحتفي بالراحل الجليل إلا ببعث الروح فيهما، حتى لا يتحول الاحتفال إلى مأتم.

في السياق نفسه، نذكر أن مجلة أخرى للأطفال هي مجلة عرفان التي تأسست هي أيضا عام 1966، توقفت بعد الثورة ثم عادت إلى الظهور هذا العام بفضل جهود ثلة من المثقفين، نخص بالذكر منهم المربي والروائي والشاعر حافظ محفوظ، ولكنها عادت إلى التوقف من جديد بعد ثلاثة أعداد، لأسباب مادية. ولم تُجد مناشدة المسؤولين بإنقاذها نفعا، وكأن موت الثقافة المدوّنة مبرمج سلفا.

عراقي ومصري يتوّجان بجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب

مسقط – أعلن مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم أخيرا عن أسماء الفائزين بجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب في دورتها الثامنة لعام 2019، والتي خصصت هذه المرة للعرب عموما في مجالات دراسات علم الاجتماع في فرع الثقافة، والطرب العربي في فرع الفنون، وأدب الرحلات في فرع الآداب.

وقال حبيب بن محمد الريامي الأمين العام لمركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم خلال المؤتمر الصحافي الذي عقده للإعلان عن أسماء الفائزين بالجائزة "إن جائزة السُّلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب جائزة سنوية يتم منحها بالتناوب دوريا كل سنتين، بحيث تكون تقديرية في عام يتنافس فيها العرب عموما، وفي عام آخر للعُمانيين فقط، لتكون الجائزة مؤشّرا قيميّا وتقييميا للحالة الثقافية والفنية والأدبية على المستويين المحلي والعربي".

وأضاف الريامي أن الجائزة شملت هذا العام ثلاثة مجالات للعرب عموما وهي مجالات دراسات علم الاجتماع، والطرب العربي، وأدب الرحلات.

وأشار إلى أنه في مجال دراسات علم الاجتماع، عن فرع الثقافة، تم حجب الجائزة، وفي مجال الطرب العربي عن فرع الفنون حصل على الجائزة الفنان علي إبراهيم علي الحجار من مصر، وفي مجال أدب الرحلات عن فرع الآداب حصل على الجائزة الأديب باسم محمد فرات، وهو عراقي الجنسية مقيم في نيوزيلندا.

ووضح الريامي أن مجموع المتقدمين الذين استوفوا متطلبات الترشح في هذه الدورة وصل إلى 157 شخصا، حيث بلغ في مجال دراسات علم الاجتماع 78 مترشحا، وفي مجال الطرب العربي 27 مترشحا، أما في مجال أدب الرحلات فبلغ عدد المتقدمين للجائزة 52 مترشحا.

والجدير بالذكر أن جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب تعتبر الحدث الثقافي الأبرز في عُمان الذي يحظى باهتمام ومشاركات واسعة على الصعيدين المحلي والدولي.

وتأتي هذه الجائزة في إطار الاهتمام بالإنجاز الفكري والمعرفي وتأكيدا على الدور التاريخي للسلطنة في ترسيخ الوعي الثقافي؛ باعتباره الحلقة الأهم في سلم الرقي الحضاري للبشرية، ودعما للمثقفين والفنانين والأدباء.

وقد بدأت إجراءات تقديم الأعمال المترشحة من الأحد 3 مارس 2019 واستمرت حتى الخميس 15 أغسطس 2019 حيث أُغلق فيه باب الترشح.

وفي شهادته حول أدب الرحلات الذي توج فيه يقول الكاتب العراقي باسم فرات "حين ودَّعْتُ الطفولة، حَالما بالسَّفَر والترحال، لم أجرؤ على البَوح لأحد"؛ هذا ما صدَّرتُ به كتابي "الحلَم البوليفاري" وهو الكتاب الثاني في سلسلة أدب الرحلات التي بلغت الخمسة كتب، وبانتظار أن أجد الفرصة لنشر تجربتي في هيروشيما وفي السودان وأماكن أُخر.

ويلفت فرات إلى أن أدب الرحلات نشاط إنساني منذ القِدَم، وكان لتدوين اليونانيين والرومان؛ الذين كانوا من الأدباء والمؤرخين المرافقين للحملات العسكرية، أو من الضبّاط أنفسهم مثل اليوناني زينفون (431– 354 ق.م.) والروماني بليني الأكبر (79–23م) وغيرهما؛ قد ترك لنا تراثا ضخما معرفا بالشعوب والمدن.

ويضيف عبر قراءاتي للتراث، اكتشفتُ أن العرب أصحاب دور رياديّ في أدب الرحلات، وأن شعوبا عديدة لا نعرف عنها شيئا لولا المدونة العربية، هذه الريادة لم تستمر بالوهَج نفسه، مثلها مثل مجالات عديدة كان للعرب السبق فيها أو الريادة أو الإبداع، ويتميز الرحالة العرب في الغالب الأعم بأنهم أدباء.

ويلفت فرات وهو الذي خاض رحلات ومغامرات في مختلف أنحاء العالم، إلى أنه من شروط الرحالة الاندماج بالمجتمع بسرعة واضحة، عبر تناول الأكلات الوطنية والتجوال في المناطق والأحياء السكنية بكافة طبقاتها بما في ذلك العشوائيات، ولكل بلد هويته ونكهته الخاصة، ولأن السفر أصبح متاحا؛ قياسا بما كان عليه الأمر قبل قرون؛ فإن ما يميز الرحالة عن بقية المسافرين أنه ينغمس بالمجتمع الذي يزورُه ويمتلك مجسات تجعله يلتقط دواخل المجتمع وجذور ثقافته ويجيد الاندماج بسرعة.

جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب

> الجائزة هذا العام خصصت للعرب وشملت ثلاثة مجالات وهي دراسات علم الاجتماع، والطرب العربي، وأدب الرحلات

ويشدد الكاتب العراقي على أن أدب الرحلات؛ إنْ لم يكن جسر محبة بين الشعوب ليتعارفوا، وإبراز تجارب هذه الشعوب ومميزاتها وخصائصها، فلا قيمة له، ولا يأتي هذا إلّا عبر التماهي مع المجتمعات والإنصات لنبضها وهواجسها أيضا. وهو يعكس ثقافة ووعي الكاتب–الرحالة، فكاتب أدب الرحلات لو كان قارئا للتاريخ ومهتمّا بالأدب والتنوع اللغوي والقومي والإثني والعقائدي والطبيعة فسنجد اهتمامه هذا يتجسد في كتاباته.

ويختتم شهادته بأنه يجب أن يكون كاتب أدب الرحلات مُلمّا بعلوم التاريخ والجغرافيا والاجتماع والإناسة (الإنثروبولوجي) ولو بحدها الأدنى، متوخّيا الدقة ومتسلحا بروح علمية مغتسلة بالشِّعْر، لأنَّ الشِّعْرَ يُرطّب الأسلوب ويغري القارئ بمواصلة القراءة ويطرد الملل عنه، وهو ما أزعم أنني حاولته في كتبي الخمسة التي صدرت، وهي على التوالي: "مسافر مقيم .. عامان في أعماق الإكوادور" و "الحلم البوليفاري.. رحلة كولومبيا الكبرى" و "لا عشبة عند ماهوتا.. من منائر بابل إلى جنوب الجنوب" و"طواف بوذا.. رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا" وأخيرا "لؤلؤة واحدة وألف تل.. رحلات بلاد أعالي النيل".

باسم فرات: أدب الرحلات جسر محبة